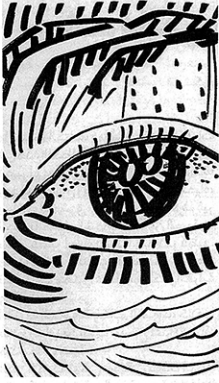




## كلان نخاف

# واحد منا

عباس بيضون



الانتخابية وبدأوا جلدلهم الانتخابية الحثمان.

مع ذلك لم يكن الأمر شيئاً من هذه الناحية، الذين حضروا حضوراً وانفسم، حضروا فرايد، اصدقاء ومهين وتلاؤده. حضروا ثانياً سفاهتهم ولينجز مهمهم الى حيث تسان اللغة والكفء بل والدوق. كان الامر عبثاً ان لا يتخلل الشعب بعقولهم وانعم ما عنده ويعهد تأليه سلالات فاسدة أو مجانبين حرب أو تتأيل من قس.

لم يكن الأمر شيئاً الا ليلد ينكس رأسه ليخضب مجدداً برانته البيلدة وليدمن مع أجد بسهولة معادلاً لهذه الحركة الكني صفقت باندياف وحاولت أن أشفي نفسي بالتحفيق. لم أحب أن اتخيل سير قصير خطيباً في تشبه ولا واعظاً من قيره. هذه صورة متفادفة ولا أجمها. انكس في وقت مصفى الآخرون. فقلنا معاً ما كنا دائماً نفعله. نحبي كلمة جميلة بالتصفيق. نمنح عبارة جميلة شيئاً من قلوبنا ونسمع موسيقى أنسنا في هذا الايقاع. الشهاب الجميل ودعناه بوسيفي القفصاً. نغالب كلمة جميلة لم نستوفد بعد سماعها. وسنحتاج كميلاً الى أن نستعيدنها في داخلنا.

سبحر... اننا نسمعك. لم نرد هذا الموت نلتك فاعلية الفكرة. كانت أثباتك بدمك وحده. لكن هوتك اعطانا حجة وجود ومثلاً. اعطانا أملاً في أن نقصد "الفكرة" في دم هذا الشعب أو أن نقصد دم هذا الشعب. سبحر... اننا نسمعك ■

نهاية مشروع بل تعطيل مشروع. لا اعرف أي كتاب توقف سيرن عن اتمامه. قيل إنه رواية هذه المرة. سواء أكان تاريخاً أم رواية فإنه سيقب في نفسه. كذلك ستبدو حياة سيرن التي، انقضت كغليبا شقفاً. وهذا، مقصومة في نصفها ومشروعا ناقصا. انما عمود بل يستوف بعضها أو جلها. سيكون الانتعاش هنا اعتماده على كتب لم تكتب، على توابير لم تخرج وعلى مسائل لم تطرح بعد. سيكون في الدرجة الاولى ادغامه للمستقبل. أنه البصيط الكتب التي لم يكتبها بقدر ما أنه الموت التي لم يزرها والمغامرات التي تنتظره. انه اشياء في الظن والاحتمال. اشياء في الغيب يعرف الموت وحده عددها. لا نستطيع بالطبع ان نتخيل مجلدات لم تُلّف ومداً ما نزر لكن أكثر ما يشق علينا أن نخفيها في تلك الموات التي كانت مستجدة ما حياته وفكره، وعلايتي الهدم والبناء التي كانت تتعولني في داخله، الاسئلة والردود والكلمات والخيالات. انما حياة كاملة لكل طبقاتها وناقفاها، مشروع كامل، وانحياز يقع في وسطها ويفصمها مفتحين، نهاراً ليلاً، وسيكون هذا الليل الكامل الممدد لنا ان تحتصنا. لسياكون لسياكون انما لن نتوقف ولا تروح وقد يكون من شأنها تحويل البشر والواقع الى بطلقات. انما عندنا موت واحد ودعوة واحدة وحتى اشارة أو تشبيه أو كناية. انما عملية اعادة تأهيل فظة. فظة حتى أن البعض لم يمانع ذلك المباح في أن يغدو سيرن قصير ميتاً فحسب. انه الشهيد، ولمزيد من الاستخدام العملي واعادة التأهيل سيكون شهيد 14 آذار، وقيل أن يدور قمر واحد على اغتياله سينقل الجدال الى مكان آخر وسيكون موته مجرد ذريعة للجدال وقيل ان نتيته سيكون موته عنداً حدثاً انتخاليا. لا أريد أن أكون حياً. بل اقول الكلمة التي تخرج. لكننا جميعاً وجدنا انفسنا جزءاً صغيراً من عملية اعادة تأهيل غامضة. مجرد جزء من تراتب انتخابي.

لم تكن جائزة نوبل كما نتيبات الصحف قبل يوم. حضر الاطباء لكل جماهيرهم لم ترحم. لم يحضر على الاقل المتعسرون من الذين نحن انهم جزءاً من افتتاحيات سيرن قصير. لم يحضر انهم قراء في 24 من ايار، اذار، ايلول رسم لهم سيرن قصير فولاتهم البضاء الصمراء. انهم لم يكن ذلك التناكيد لكن الدعوة على الأرجح لم تصل ولم يتحرك لها البريد التقليدي الذي ينقل دعوات المصالحات كده. كان سيرن قصير في المصالحات شهيد 14 اذار لكتلة الحزبي المسمى للانتفاضة الانتخابية. تساوى في ذلك مع مئات الالوف الذين لم يدعهم احد بعد الا كل التنازع على صناديق الاقتراع. ما كان انتفاضة على المصلحة في كل لحظة في 14 آذار يفعد. رمزية الخزانة كانت مطلوبة ممن يخلون من الآن تسليم المفاتيح لبروز. لنقل لهم سجنوا سيرن قصير في اللحظة

قصير. سيرن قضيه لكنه دائماً يتخطاها. قضيته لكنه، في حساب ما، لا يتوقف عندها. كان سيرن قصير تقني 14 آذار، لكنه لن يكون لهذا السبب وحده شهيد 14 آذار. كان في "اليسار الديموقراطي" لكنه لن يكون شهيد "اليسار الديموقراطي". انبوا في الالف الصفحات التي كتبها، في سيرته، ستجدون اكثر من 14 آذار واكثر من يسار ديموقراطي. يعرف سيرن قصير، بلغة هيفيلة تقريباً، كيف تحقق "الفكرة" في لحظة وربما في اثر. لكنه عمل الفكرة وتجلياتها وهو ينتقل مع "الفكرة" من لحظة الى لحظة ومن أثر الى أثر.

ليس سيرن قصير سياسياً لكنه يمارس السياسة، وليس صحافياً لكنه يمارس الصحافة. انه باسم السياسة يقصد أماً يتعداها. يدفع اللحظة السياسية لكنه لا يتعديها فيها. الرجل الذي كتب تاريخ بيروت وتاريخ الحرب يعرف ان 14 آذار في ما بعده، والرقعة لا تتوقف هنا. الرجل الذي كتب تاريخ يعرف ان وجوده في اللحظة لكن بصيرته للمستقبل. ان ما يسوقه الى أن يفعم اللحظة وهو البصيط السقف الذي اما والهدى التي تضيئه منه. لنقل ان السياسة لسياكون لسياكون انما لن نتقدم في غيابه المستقبل. تحقق من اقداننا وانفسنا ايضاً. السياسة بالنسبة لي مؤرخ وشغوف بالتاريخ كسيرن قصير في هذا التحقق من الازمان قبل أن نتخطفنا لانجانية الزمن وقيل ان نتبدد في التاريخ.

برزنتي لذلك ان يختصر سيرن قصير في شعار. بل يحرزنن ان يختصر في موته، الذي يبقه بالنسبة لي بنفس معنى. برزنتي ان تحب على لحظة تخفية ليس فيها فرد بل صوت وضوء صم. انما كان هناك ما ندين به لمكبر ومثقف كسيرن قصير فإنه في رؤيته على قاعدته السياسية، مفارقتة كلما ومساواته وتحولاته. ندين لسيرن قصير بأن نرى كيف يتحقق من "اللحظة" قبل أن يسير نمنع. ان نرى ايمانه الواقعي الواقع وبخيره لأن يفهم توارثاته الصعبة على أرض لاقية، وتلك القفزة التجريبية التي يقوم بها المثقف بين السياسة والحقيقة، والتي قد يكون موته ذريعة لها.

ندين لسيرن قصير بمراترنا وتجدينا مفكر لبقني معادلاً للعالَم بمكره ليستحوذ على الآن والمستقبل في الدقيقة ذاتها. بمصارعته ليمهاده وقبلة العنابر لآلته وخيانتته الفتنه لمفتحي اثره واسترقاقه ومراته وفتنه وتكررتة واحبايله ولعبه اذنا اذنا الأحرار. بوحشته العظيمة المطرودة بألوف الصفحات والالف الاسماء والالف المعلم. ندين لسيرن قصير بمصارعته السياسية وندمها باجرامها الخاصة. بعباده السياسي الفاضح الساخر الذي تجلي في ممارسته لها. موت مفكر كسيرن قصير ان يكون ذروة ولا تحقفاً بل انقصاف مؤزلاً. انه لا يعني

اغتيال سياسي، هو موت حياته وسيكون سرها ومعناها العميق. وسيني عليه الآخرون لتحررها واستنابها. سيرون فيه مدها الضمني والوجهة التي تنظمها. سيكون قبلتها وسيعاد رفعها حول وصوه. سيجد فيه ودتها ومسارها وستقرأ مجدداً على ضوءه، وستكون كاملها خاضعة لهدياً قوي. اغتيال سياسي والدة ثانية وهداً منه نجد منطقها ومحرما الداخلي. هداً منه تعدو السياسة مسوقة بفكرة ضمنية ورؤية واحدة وسيتقبله. تندمج التمرجات في مجرى صلب وممكن هكذا استنتاج مشروع نهائي وخط، أو تأسيس لوصية وخطاب.

اغتيال مفكر كسيرن قصير مختلف عن ذلك. أيما كان الطرف فإنه -ي اغتيال- يبقى أعمى قليلاً وبوق أي استحقاق، وخاصة لقرابات شتى. لن يعطى معنى خاصياً ونهايياً لحياة بل سيحدث في تضامنها عن معان عديدة له لكنها لا تستنفذه، وسيبقى مع كل الايضاحات والشروحات حياً لونا. يشبه السير. سيقب على قدر من الاستقلال ولن يكون ابداً محركاً داخلياً لحياة صاحبه ولا عبرتها لحياته وتوجهها الضمني. سيكون دائماً عسفاً واجتياهاً واعداً من الخارج، وفي افضل الاحوال محاكمة غير متوازنة، تمتع ببقية نصف المعنى على الأقل، مظالم وساخراً لن نقل ونحشا. سيكون نصف المعنى طائشاً وغريزياً وغلغلاً في الاشمعور أو الضديان. القاتل، وإن يكن آلة أو جهازاً، ملحات أو مضمون. انه يقتل لأمر نصفه غارق في نفسه العظيمة. عجزه وشموه في الميزان ولا بد انه سيطلق رصاصة على كل حرة مستوفاة، على كل تحقيق للحرية، وكل صورة للآخرة، وكلان يبدو متوازناً في مرآة الانعراج. يمكن ان يبدو القاتل الضمني موجهاً ضد مثال وستكون جميعاً في مرآه. انه اعدام بل قران لآلة موشموشة وكل فرح خالفاً أو استيعافاً لما سيكون هناك سواء حدث أو لم نقل كارفاد. فإن الانتعاش كان ضد نطم حياة. ضد كل مرطقة حرة وتدسيس الآلة والتوايلات و ضد كل بد متحقق ورغبة مستوفاة. ضد السير والمثقة والجسد. ضد المدينة وضد المكتبة وضد التدبير وضد الايام. يتغائلون السياسي والاعمال السياسي ويكزنون المر والخصا. انه اعدام لوقوف وقتل لفضية. لا يراود أحد شك في أن المسألة هنا يتساوى الخناطح السياسي مع القضية بحيث يمكن استهدافها معاً. حين يسقط السياسي تستمر القضية ويبقى هو معها، صورته الغائبة أو شهيداً. هكذا هو المر، والخص ونام. "الشهيد". وهذا هو المصطلح الذي ترد دائماً في ايراد هو هذا الخناطح والتطابق بين المره وقضيته. انما لحظة ذروة يغدو فيها الضمير هو اجدل ضيفاً لقيضته التي يهتفه غدت جسداً رزماً له. ليس الوضوح سيداً اغتيال مفكر كسيرن